نساء مغتربات

أمل بورتر: علمتني الغربة دروسا في قبول الآخر

كيف صادرت سلطة صدام دارها ومعملها وأجبرتها على الهجرة ؟

طاهرة داخل

بعناد طفولي ، أسأت الى ذكائها في لحظة ما حين صادرت ايضاحاتها التي كانت تؤكد عليها وهي تتحدث عن مشروع مشترك يخص مطبوع الطفل. واخبرتها ان الوقت متأخر وعلي المغادرة.. وكانت الساعة الثانية فجرا.

وللاسف كانت تلك آخر لحظات لقائي بها واول لحظات الوداع.

ووجدتني اقضي الليل لاسجل باقي حواري معها على الورق وكأني اعتذر عن بعض جفوتي تجاهها، تلك المرأة التي ولدت عام (١٩٤١). واحترفت فن الرسم ونقده ودراسة اعماله، قالت امل في بدء الحوار معها: ولادتي في بغداد.. من اب بريطاني يعمل مهندس كهرباء، جاء مع الاحتلال البريطاني الى العراق الا انه كان دائما يقول: جئت محتلا.. فاحتلني العراق.

أما والدتي فهي عراقية، سافر ابي الى كركوك بعد زواجه من والدتي بعدة سنوات لتنظيم مولدات للطاقة فيها. ونشأت هناك.

كركوك أثرت في (التعددية والتلون الطائفي والعرقي والقومي واختلاف التقاليد، كل ذلك اعطاني نوعا من قبول الاخر وصداقته.

ومنذ طفولتي كنت اكتب وارسم، واتذكر انني في الصف الثاني الابتدائي كتبت رسالة الى (عمو زكي) وكانت من ثلاث صفحات تحدثت فيها عن هواياتي رسمت الكثير من الفراشات في داخلها.

ومنذ تلك اللحظة التي اعدها انطلاقتي حققت الكثير من الاشياء الا انني مع ذلك اشعر انني اضعت كل حياتي حين غادرت العراق.

درست في معهد الفنون الجميلة، برغم اني كنت احب البيطرة.

وقد واجهت المشكلات مع والدتي من الاسبوع الاول، حيث مزقت رسوماتي حين وجدت بينها صورة لرجل عارٍ.

فاستغربت لتصرفها واخبرت خالتي وقلت لها انا لم ارسم رجلا عاريا، انه (أبو للو).

تقدمت للعمل في الاذاعة عام ١٩٥٩، ونجحت في الاختبار وكانت اجواء الاذاعة جميلة، الا اني خرجت من الاذاعة لاسباب، اولها اننا تم تعيينا في الاذاعة ليس من قبل الحاكم العسكري وذلك خرق للقوانين انذاك وامتنعوا عن اعطائنا رواتب.

وبدأت بعد ذلك اول خطوط اغترابي حين حصلت على بعثة دراسية الى روسيا.

وبعد ان انهيت البكالوريوس عملت في الاذاعة في قسم البرامج العربية.

عدت الى العراق نهاية عام ١٩٩٤ وصدر أمر تعييني كمعلمة خارج بغداد الا انني رفضته، واتصل بي اصدقائي منهم الشخص الذي صار زوجا لي فيما بعد، يوسف وكان مفصولاً سياسيا بعد ان سجن في عام ١٩٦١ واسست معه شركة لمواد التجميل، (تجارة/ صناعة) ومكتب اعلان معها، وكان نشاطنا كبيرا والمردود المادي مربحا جدا.

ثم تزوجنا عام ١٩٦٦ لاننا احسسنا ان كلانا صار جزءا من الاخر ثم حصلت على عمل بالمتحف العراقي، الذي لم يكن مفتوحا، وعملنا كفريق عمل لنجعله جاهزا للعمل، رسمنا الخرائط، نظفنا الزجاج، مسحنا الارض، لاننا كنا مندفعين، فالمتحف كبير نريد ان نعيد له الحياة، ومساء كنت اذهب الى العمل مع زوجي حتى نعود الى بيتنا معا. جاء عام (١٩٦٩).

وجاءت معه (الغيمة السوداء) محملة بغازات سامة، وبدأت حياتنا تنقلب الا ان وضعنا من الناحية المادية لم يتأثر.

اذ بدأت المضايقات علي في عملي في المتحف.

فهناك تقارير اخذت تكتب عني، وفي النهاية اتهموا زوجي بأنه اعطى رشوة لموظف أمن مقدارها (٥٠) دينارا وسجن سنتين حينها اذ كان من ليس له نشاط سياسي ولا ينتمي اليهم يحاربونه بحجج عديدة، ثم بدأ الضغط علي للانتماء للبعث، بقولهم ان وزارة الثقافة والاعلام التي ينتمي لها المتحف يجب ان يكون موظفوها من المنتمين لحزب البعث.

لقد كنت اتوقع دائما ان ينهب المتحف اذ كان ينهب أمام عيوننا واتذكر حادثة حصلت في عام (١٩٦٩) زوجة صدام ارسلت بطلب قلادة لتلبسها وهي قلادة طولها متر ومصنوعة من الذهب، وذلك لان زوجة احد الرؤساء اتت لزيارتها.

وحين استمرت المضايقات الرهيبة ومنها وصفي بكلمة (تلكيف) أي انني من اقلية مسيحية غير معترف بها حسب قولهم.

ثم تكررت المضايقات النفسية حتى انهم احبطوا مشروعا كنا قد نفذناه انا والسيدة (لمياء الكيلاني) وهي اختصاص آثار، إذ كنا نعلم الاطفال ماهية الآثار العراقية والمعالم التاريخية عن طريق فن الرسم. الا انهم دمروا مشروعنا.

عندها اضطررت الى الاستقالة من عملي عام (١٩٧٦).

وأخذت انفذ بعض المشاريع الخاصة بي واخيرا اسست شركة للعب الاطفال وكانت من اجمل المشاريع ومربحة في الوقت ذاته.

احتفظنا بعملنا وطورناه، وهو تجارة وصناعة واستيراد وتصدير لعب اطفال، كنت اصممها بنفسي واخذت جوائز كثيرة عنها، وللاسف لفت نشاطي انتباه البعثيين نحوي ووصلني اول قرار بغلق المعمل.

تعرضت لحادث سيارة مقصود، حين كنت استقل سيارة من نوع بولسكي مع شخص يعمل كمياويا في الشركة فتوجهت نحونا سيارة اوبل ضخمة وصدمت سيارتنا، مما ادى الى انقلابها.

وقد اكد المحامي بعد ذلك ان السيارة التي صدمت سيارتنا هي سيارة (أمن). وبسبب ذلك الحادث بقيت عاما ونصف راقدة ومشلولة عن العمل.

الا انني عاودت نشاطي بعد ذلك وتكرر استدعاؤهم لي الى دائرة الامن العامة التي كان مقرها في (بارك السعدون) في منطقة البتاوين.

ذهبت الى الامن ذات مرة فأخذوا يسيرون بي في ممرات وممرات (يمينا وشمالا) وكنت اشعر انني كنت ادور في دائرة مفرغة، حتى انتهى بي المطاف الى غرفة ليس فها سوى منضدة وسرير حديد قد وضعوا فوقه فراشا واغطية.

وقفت امام المنضدة وكنت امسك بطرفها.

فسألني ضابط الامن:

❖لماذا لا تغلقي المعمل؟

-فأجبته بأن هناك قانوناً من وزارة الصناعة يعاقب كل من يغلق معملا، بسبب ظروف الحرب العراقية الايرانية.

فأجابني:

❖اذا (بيعي المعمل).. وضرب يدي بشدة وكسر اصبعي.. وكنت خائفة على ان يضربني على رأسي ويفتح الجرح الذي تعرضت له اثر الحادث.

بعدها: اخذوني في ممرات ودهاليز.. وكأنهم كانوا يبحثون عن عذر لابقائي.

بعدها غادرت العراق الى بريطانيا بسبب ملاحقات الامن في شهر ايلول عام ١٩٨٩ وتوفي زوجي بعد ستة اشهر وما زلت هناك في حالة انتظار، لاعود الى بيتي، الذي صادره البعثيون واستولى عليه احد ابناء رجالات صدام.

بيتي الذي رسمت على ابوابه بسط السماوة بكل تفاصيلها.

وحين غادرت صرت ارسم كل ما يتعلق برموز حضارة (سومر) لانها تربطني بالازمان الثلاثة وبنفسي.

فأنا من النساء اللواتي لم تضعفني الغربة، بل علمتني درسا مهما. كانت بعض فروضه قد تعلمتها منذ الصغر في كركوك وهذا الدرس هو ان الحياة تجبرك على التواجد مع الاخر واحيانا يكون هذا الاخر هو (الند)، لذا عليك ان تتعلم احتواءه، والتعامل معه، حتى تستطيع ان تقترب منه وتنجح في ان يكون صديقا حميما بدلا من ان يكون نداً لك.

كتابة على الحيطان

لماذا كتبنا الدستور؟

عامر القيسي

يبدو السؤال في قراءته السطحية ساذجا، لكن ايقاظ السؤال من وجهة نظر سياسية وقانونية قد يفض اشكال مثل هذه القراءة.

والدعوة للاجابة عن مثل هذا السؤال هي دعوة للفصل بين زمنين، زمن اللاتمثيل الشعبي للنص الدستوري وزمن تمثيله الشعبي، فمنذ تأسيس الدولة الوطنية العراقية عام ١٩٢١ وحتى لحظة كتابة دستورنا الدائم والجديد والتصويت عليه شعبيا لم نكن نعرف عن دساتيرنا المؤقتة غير نصوصها المتفرقة، التي كانت تقودنا اليها الصدفة، ولم يكن بمقدورنا الحصول على حقوقنا التي كانت حاضرة في النص المؤقت وميتة في الواقع، والسبب ان سلطات التنصيب او الانقلابات كانت عائشة على مثل هذا الالتباس الذي كان تحت السطوة القوية والمباشرة لهذه السلطات.

ففي زمن الطاغية كان لدينا دستور ينص على حرية تشكيل الاحزاب وحرية التجمع والاضراب.. الخ، لكن السلطة حولت هذا الحق الى حق لها في التأييد والتطبيل، وامثلة أخرى غير هذه الحقوق احتواها دستورنا الحالي كثيرة، والعبرة فلسفيا وسياسيا وقانونيا ليس في كتابة النص وانما في تطبيقه.

ان ما عانيناه لم يكن قائما على مغالطة سياسية بقدر ما كان قائما على قصدية سلطوية يطول شرحها. وهذه القصدية قائمة على اساس ايديولوجيا رفض الاخر والغائه.

الان وبعد كتابة دستورنا الجديد، الذي اخذ من زمن العمل السياسي الشيء الكثير، هل يعرف المواطن العراقي حقوقه الدستورية؟ واذا عرفها هل يستطيع ان يمارسها؟ واذا اراد ان يمارسها هل يجد الابواب مفتوحة امامه لممارسة هذه الحقوق؟ اسئلة عديدة متفرعة من السؤال المركزي الاول:

لماذا كتبنا الدستور؟

هل يبدو السؤال ساذجا الان حتى في قراءته السطحية؟ ان واقع مرحلة ما بعد كتابة الدستور الجديد يقول بكل وضوح وشفافية: ان حقنا الدستوري ما زال مصادرا في مفاصل متفرعة من ممارساتنا الحياتية، ليس من قبل هيمنة سلطة بكامل عددها وعدتها، فالوضع قد تغير كثيرا ولا مجال للمقارنة، لكن المصادرة تأتي من قبل اناس ومجموعات واحزاب وتيارات وحتى شخصيات نافذة وهي بمجموعها تكتلات فكرية وسياسية واقعة تحت سطوة الخوف القديم من العبث بالهوية الطائفية او القومية، وفق عواطف مبالغ فيها، او الانغلاق داخل دائرة الاحتماء الطائفي والقومي والاثني وهذه هوايات جديدة ينبغي الاقلاع عنها والدخول الى دائرة الاحتراف السياسي لعراق آخر غير عراق التهجير والتغيير الديمغرافي لمدن بكاملها او السطوة الطائفية.

حقيقة أمامنا الان آلاف الانتهاكات لنصوص دستورية وقعت عليها جميع الكتل السياسية والبرلمانية المشاركة في العملية السياسية وهذه الكتل ممثلة داخل السلطة وخارجها، تمارس اشكالا متنوعة من الانتهاكات الدستورية ابتداء بحقوق الانسان التفصيلية اليومية، وانتهاء بحق العراقي في العيش في أية بقعة ضمن الجغرافية العراقية بغض النظر عن جنسه ولونه وطائفته وقوميته وافكاره السياسية. انتهاكات تحدث ايها السادة يوميا وفي كل مكان ابتداء من العاصمة وعلى مرأى ومسمع من الذين يفترض فيهم ان يسهروا على تطبيق الدستور الذي دافعوا بلا هوادة عن الكثير من نصوصه ونجح دفاعهم في تثبيت قناعاتهم.

لقد فوضنا الكتل السياسية بكتابة الدستور، وخرجنا متحدين الارهاب ومصوتين عليه ودفعنا دما غاليا من اجل هذا الهدف ولا نريد في نهاية المطاف ان نقبض على الريح.

المواطن العراقي يعرف جيدا التباسات الوضع العراقي سياسيا وامنيا لكنه في المقابل يعرف ان له دستورا يحمي حقوقه. او هكذا يفترض على الاقل، وان جزءا من فك الالتباس بالنسبة له هو تطبيق الدستور وتفعيل بنوده واقعيا وبشكل ملموس لاجل ان لا نعيد طرح هذا السؤال مرات ومرات وليس في كل إعادة إفادة.

ذاكرة المقابر الجماعية

تقرير حزبي حوَّل الراعي (أبو داود) الى قائد مجموعة مسلحة؟!

ميسان/ باسم الحمراني

ولد (ابوداود) سالم لعيبي خليل في منطقة الاهوار وترعرع فيها ، وعمل في مهنتي الزراعة وتربية الجاموس، ورث هاتين المهنتين عن ابيه وجده اللذين تمتد جذورهما الى اجداد ولدوا مع نشوء الاهوار ،لم يكن بطلا ولا مناضلا ...كان مزارعا مجتهدا يتفوق على اخوته في المحاصيل ومعرفة الاجزاء الصغيرة عن عالم الاهوار..ولكن كيف قتل ؟وماهي الاسباب ؟...هذه ما سنتعرف عليه ونحن نتعرف على قصة شيخ الاهوار التي ،تتداولها الالسن في اهوار العمارة الشرقية.

لقد اخفى ابو داود اشياء مهمة ورثها عن ابيه الفلاح ولكن الشيء الاكثر اهمية هي البندقية المارتيني الهندية ،وكان يضعها في(السبوس) خوفا من الزنجار وفي الاغلب كانت رصاصات هذه البندقية تصيد الخنازير الخارجة من المستنقعات و(عبد الشط) وحرامية الليل ....في عام ١٩٩١ بلغ من العمر(٧٠) عاما شاهد الانتفاضة والشباب الذين يرمون العيارات النارية

ويقولون(انتهى صدام)...لم يذهب مع المسلحين الذين خرجوا من الاهوار كان يقول ان عائلتي بحاجة الي وان الجواميس لا يمكن ان تستقر اذا لم تجد رائحتي قربها...وبعد ان انتهت الانتفاضة وهجم جيش صدام كان ابو داود حذرا من البعثيين واتهاماتهم ..طائرات مروحية وافواج من المغاوير تسري مثل الدود في القرى النائية ..طلب من ام داود ان تقوم بواجباته ،فكانت يوميا تذهب الى اعماق الاهوار ترعى الجاموس وتعود الى كوخها ولكن في احدى المرات وبينما هي ترعى ازداد القصف على المنطقة التي ترعى بها وكادت احدى القذائف تسقط في زورقها..ارعبها مشهد النار واصوات القذائف فهربت وتركت الجواميس تواجه مصيرها لوحدها ....في تلك الايام احرقت الكثير من القرى وهرب العديد من الشباب الى امكنة امنة في هور الحويزة المحاذي لايران...وبعضهم تجاوز الحدود متحملا المخاطر التي قد تؤدي الى الموت.

ابو داود غضب من زوجته التي تركت الجواميس تهيم وحدها في الاهوار، اخرج بندقيته(المارتيني) من صندوق(السبوس) وركب زورقه متجها الى الموقع الذي حددته الزوجه،وحين وصل فرح حين عرف بان الجواميس لم يصبها سوء نادى على الجواميس بصوته فتجمعت حوله وبدأت تمشي امامه كان يوجهها بعصا ويرفع صوته لو انحرفت احداها عن الطريق المتعارف عليه حركة اقدام الجواميس،جعلت احد الطيارين ينتبه لما يجري في الارض لف اكثر من مرة حول (ابو داود) وجواميسه وحين عرف انه رجل وملثم ويحمل بندقيه،انزل عليه شبكة كبيرة رفعته هو وزورقه.ذاعت اخباره في القرية والجواميس عادت الى اكواخ (ابو داود).احد الذين كانوا يعملون في الاستخبارات العسكرية روى لأهله بعد انهيار الدكتاتورية هذه الحكاية: حين انزلوا عجوز الاهوار طلبوا منه ان يعترف انه من ضمن المتمردين على الحكومة وحين سخر منهم واخبرهم الحقيقة انه كان يرعى الجواميس رموه في الشتاء في احد الانهار القريبة وكاد احد جنود المغاوير يخنقه في الماء، وبعد تعذيب استمر لايام كتب العقيد (....) امر الفرقة (١٨) تقريرا يؤكد فيه انهم ضبطوا سالم ابن لعيبي وهو يواجه الجيش ومعه مجموعة مسلحة لم يعلم (ابو داود)بما كتب عنه تنقل بين سجن امن العمارة والامن العام وسجن ديالي والثورة واعيد اخيرا الى العمارة..

وكان معه الكثير من المناضلين في منطقة الاهوار.العقيد آمر استخبارات الفيلق الرابع ،وضعهم جميعا في حفرة وسط الفيلق وفجرهم بالديناميت..كان ابو داود من ضمنهم. بعد سقوط صدام اراد اهله ان يعثروا على تذكار بسيط منه ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ..لان المكان الذي قتلوا فيه اكثر من ألف الشاب في تلك الايام، قد تداخلت عظامهم.

ام داود في اخر الكلام تقول: كل ماكنت اتمناه هو ان اودعه، انا اعرف انه لم يرتكب جريمة، وانه راح ضحية لاجرام حكومة صدام ووحشيتها،كان مواطنا بسيطا ويحب وطنه ولم يكن يرغب ان يؤذي نملة.اليوم لو اتمكن من ان ابعث له رسالة لقلت له أطمئن اولادك اصبحوا كبارا وعلقوا صورتك في المضيف و الجواميس رغم تجفيف الاهوار والموت الذي احاطنا مازالت سالمة وتعود كل مساء الى اكواخها.

رحلة في دائرة جوازات الكرخ

انتهت بعدم الحصول على الجواز وضياع فرصة السفر

بغداد/ محمد شريف ابو ميسم

في صباح يوم ٥/١٦ وبكل نشاط استيقظت الساعة السادسة صباحا، لم يخطر ببالي المليء بوهم العدالة، ان النهوض في مثل هذا الوقت ما عاد نهوضا مبكراً في قياسات مسؤولي دائرة الجوازات، وصلت عند الساعة الثامنة وبضع دقائق، كان الزحام على اشده (نساء واطفال في مختلف الاعمار) و (ترامز) للمياه وقناني لحليب الاطفال الرضع ورجال يحملون اطفالاً نياماً على أكتافهم) فوقفت في الطابور وعندما تسنى لي الدخول كانت الساعة قد تعدت العاشرة، ولكن الجمع الغفير قد بدأ بالتفرق وتبين ان ما يسمى بالاستمارات المخصصة لذلك اليوم قد نفدت، وان الموعد الجديد المخصص لمنطقتي السكنية سيكون في ٢٠٠٦/٦/٤.. في ذلك الحين سيكون موعد سفري للعمل قد اقترب، فكيف لي والجواز لا يصدر الا بعد اكثر من عشرة ايام من تاريخ اتمام المعاملة.

أمام مكتب المدير

كان ثمة باب من قضبان يفصل بين مكتب المدير والناس، يقف خلف ذلك الباب شرطي لا يعير اهمية لنداءات الذين يحاولون الوصول الى المدير وقفت مع هؤلاء الناس، حاولت ان استأذن بعضهم من اجل ان أتحدث إليه، التفتت الي امرأة طاعنة في السن وقالت: لن يرد عليك، ثم اردفت انا مريضة واروم السفر من اجل العلاج، امرأة اخرى تمتمت بكلمات لم افهم منها سوى: ليس هناك من يرحم.. بينما قال شاب وهو يشير الى رجل يلتصق بالباب الحديدي ان والدي هذا اصيب بالعمى ومسألة الوقت في علاجة مهمة جدا.

لما ذا انتم هنا؟.. التفت الجميع الى مصدر الصوت وسرعان ما اخترقهم شاب قصير القامة، أنيق المظهر بزي مدني يتحرك ويتكلم بطريقة (رواد الزيتوني).. توجه بالسؤال الى احدى النسوة، ثم اقترب مني، فبادرته بالاجابة على الفور: ان موعد منطقتي هو اليوم ولم استطع الحصول على استمارة، والسفرة التي أنا بصددها في الشهر المقبل، بينما موعد مراجعتي الجديد في الشهر نفسه، واود مقابلة السيد المدير لكي اشرح له ذلك.. فرد عليّ بالقول: (نايم للظهر حضرتك؟... الناس يأتون قبل موعد الاذان..).

ما بين اليأس والامل

ما زال امل السفر والحصول على جواز متوقدا في داخلي وقبل ان يحين الموعد الجديد ذهبت الى جوازات الكرخ فاكتشفت ان ثمة جدولاً جديداً قد وضع وموعد منطقتي اصبح في يوم ٦/١٤ أي تم دفع الموعد الى عشرة ايام اخرى، حينها شعرت ان هذا الحلم بدأ بالتلاشي، بيد ان ظهور مدير الدائرة على شاشة احدى الفضائيات شجعني على معاودة الذهاب في يوم ٦/١٤ بعد ان اكد على زيادة عدد الاستمارات التي يتم توزيعها يوميا وان العدد سيتجاوز الارقام المعلنة ليصل الى (٥٠٠) استمارة يوميا.. وحتى تصبح فرصة الحصول على الاستمارة اكبر، قررت ان انهض من نومي قبل موعد آذان الفجر.. وفعلاً فقد نهضت في الساعة الرابعة صباحا من فجر الاربعاء ٦/١٤ وهيأت نفسي للخروج في الساعة الخامسة إلا الربع.

شجاء لا يصدق

عندما وصلت الى دائرة جوازات الكرخ، كانت الساعة قد تجاوزت السادسة والربع بدقيقتين كان الجمع الغفير من الناس لا يوحي بان هؤلاء الناس قد حضروا توا.. سألت احدهم: من اية ساعة وانتم هنا؟ قال: منذ الساعة الخامسة.. شخص آخر بجواره قال: منذ الرابعة!!. ومن خلال الاحاديث تبين ان البعض ممن له اقارب او معارف يسكنون بالقرب من دائرة الجوازات لجأ اليهم ليقضي بعضاً من ساعات الليل ليخرج منهم في اول ساعات الصباح.. انه أمر لا يصدق حقا.. الادهى من ذلك ان نساء واطفالاً كانوا مع الحضور، ولم استطع ان افهم كيف استطاع هؤلاء الوصول الى هذا المكان على وجه التحديد في هذا الوقت بالذات.

الساعة تجاوزت العاشرة وصاحبي الذي خلفي ما زال يتلوى تحت لهيب الشمس، واستمر الحال هكذا حتى الساعة العاشرة والنصف.

نهاية الرحلة

كان التذمر واضحا على وجوه النساء والرجال الذين غامروا بانفسهم وبعوائلهم وخاضوا تجربة الانتظار لشهر من الزمان. فتنوعت كلمات الغضب، الا انني لذت بصمتي.. وبخيبتي ثم قررت الغاء كل شيء.

وعندما غادرت الدائرة كنت افكر بحجم الخيبة وبضياع فرصة السفر وبحجم خسائري من الوقت والمال وسؤال يرن في أذني، هل حقا لا يمكن ايجاد حل لهذه المأساة؟ ولماذا لا يعتمد تسجيل اسماء المراجعين ويتم اعطاء مواعيد لهم على ضوء الاسبقية ليضمن الانسان بعض حقوقه ويحافظ على كرامته؟!!.